جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
قسم اللغة العربية
دكتوراه اللغة العربية ـ لغة

قراءات في كتاب سيبويه

"التعريف بسيبويه وكتابه"

أ . د. نافع علوان بهلول الجبوري

المحاضرة العاشرة

باب (كم)

٢٠٢٤ م ١٤٤٦ هـ

هذا باب كم

وكم في الخبر لا تَعْمَلُ إِلَّا فِيمَا تَعْمَلُ فِيهِ:(رُبَّ)، ف(رُبَّ) للتَّقْلِيلِ، و(كَمْ) للتَّكْثِيرِ، وهذا يُوجِبُ لَهَا صَدْرَ الكَلام في الخَبَرِ، وأَنْ تَعْمَلَ في النَّكِرَةِ دُونَ المَعْرِفَةِ، وَأَنْ يَجُوزَ عَمَلُهَا فِي الجَمْعِ، كَمَا جَازَ فِي(رُبَّ) في الخبر. وإِنَّمَا لَمْ يَجُزْ أَنْ تَعْمَلَ(رُبَّ) إِلَّا فِي نَكِرَةٍ؛ لأَنَّهَا تَقْلِيلُ جَمَاعَةٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم لَهُ مِثْلُ اسْمِ الَّذِي دَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا نَكِرَةً؛ لهذه العِلَّةِ.

وكَذَلِكَ:(كَمْ) في الخَبَرِ، لَوْ قُلْتَ:(رُبَّ أَثْوَابٍ عِنْدَكَ) كُنْتَ قَدْ قَلَّلْتَ جَمَاعَةً، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا(أَثْوَابٌ)، وكَذَلِكَ إِذا قُلْتَ:(كَمْ أَثْوَابٍ عِنْدَكَ) فَقَدْ كَثَّرْتَ جَمَاعَةً، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَثْوَابٌ؛ فَلِهذا صَلَّحَ فِيهَا مَعْنَى النَّكِرَةِ، وَلَمْ يَصْلُحْ مَعْنى المَعْرِفَةِ؛ لأَنَّ المَعْرِفَةَ لِلشَّيْءِ بِعَيْنِهِ مِنْ غَيْرِ شَرِكَةٍ.

و(كم) اسم، و(رُبَّ) حَرْفٌ؛ لأَنَّ (كَمْ) للعَدَدِ، وَمَعْنَاهَا فِي نَفْسِهَا؛ ولِذلِكَ صَلُحَ أَنْ تَكُونَ فَاعِلَةً، ومَفْعُولَةً، وظَرْفًا، وَمُبْتَدَأَةً لِيُخْبَرَ عَنْهَا، وَلَمْ يَجُزْ مِثْلُ ذلِكَ فِي (رُبَّ)؛ لأَنَّها تَقْلِيلُ عَدَدٍ، مَعْنَاهَا فِيمَا اتَّصَلَتْ بِهِ. ودَلِيلُ ذلِكَ قَوْلُ العَرَبِ:(كَمْ رَجُلٍ أَفْضَلُ مِنْكَ)، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَهُم:(رُبَّ رَجُلٍ أَفْضَلُ مِنْكَ) .

وَيَجُوزُ فِي قَوْلِ بَعْضِ العَرَبِ النَّصْبُ بِـ (كَمْ) في الخَبَرِ، و[الجَرُّ] أَحْسَنُ؛ لأَنَّهُ يَتَبَيَّنُ الاسْتِفْهَامُ مِن الخَبَرِ بِالنَّصْبِ في الاستفهام، والجَرِّ في الخَبَرِ، فهذا أَحْسَنُ وأَوْلى. وإِنَّما أَجَزْنَا الوَجْهَ الآخَرَ عَلَى أَنْ يَصْحَبُ الكَلَامَ مَا يَدُلُّ عَلَى المعنى في الكلامِ القَائِمِ بِنَفْسِهِ فِي البَيَانِ عَنْ مَعْنَاهُ أَحْسَنُ إِذَا اسْتَوَتِ الْأَحْوَالُ إِلَّا مِنْ هَذا الوَجْهِ. وقَالَ يَزِيدُ بنُ ضَبَةَ :

إِذا عَاشَ الفَتَى مَائَتَيْنِ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ المَسَرَّةُ والفَتَاءُ

فهذا عَلَى إِثْبَاتِ النُّونِ ونَصْبِ المُفَسِّرِ؛ لأَنَّ هذه النُّونَ تَجْرِي مَجْرَى التَّنْوِينِ؛ لأَنَّهَا عِوَضٌ مِنْها، وهي عَارِضَةٌ فِي تَثْنِيَةِ الْاسْمِ عَلَى وَاحِدِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ نُونُ:(عِشْرِينَ)؛ لأَنَّها لازِمَةٌ لَيْسَتْ جَارِيَةً عَلَى الوَاحِدِ، وَيَجُوزُ عَلَى هذا:(ثَلاثَةٌ أَثْوَابًا) .

وقَالَ الفَرَزْدَقُ في النصب ب(كم) في الخبر:

كَمْ عَمَّةً لَكَ يَا جَرِيرُ وخَالَةٌ فَدْعَاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي

ويَجُوزُ في هذا البَيْتِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

– الجَرُّ عَلَى [الخَبَرِ]، هذا الأَكْثَرُ، وَمَا هُوَ أَحْسَنُ؛ لِمَا بَيَّنَّا.

– وَيَجُوزُ الرَّفْعُ عَلَى حَذْفِ المُفَسِّرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: كَمْ مَرَّةً عَمَّةٌ لَكَ؟

وَمَوْضِعُ (كَمْ) إِذا رَفَعَ (عَمَّةٌ) نَصْبٌ ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَعِشْرِينَ مَرَّةً عَمَّةٌ لَكَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي. وفي الوَجْهَيْنِ الآخَرَيْنِ مَوْضِعُها رَفْعٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَعِشْرُونَ عَمَّةٌ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي.

ولا يَجُوزُ مَذْهَبُ بَعْضِهِم فِي أَنَّ (كَمْ) عَلَى كُلِّ حَالٍ مُنَوَّنَةٌ، إِلَّا أَنَّ الَّذِينَ جَرُّوا فِي الخَبَرِ أَضْمَرُوا (مِنْ) ، كَمَا يُضْمِرُونَ (رُبَّ) مِنْ قَبْلِ أَنَّ إِضْمَارَ الجَارُ مَع إِعْمَالِهِ لا يَجُوزُ إِلَّا بِعِوَضٍ مِن الجَارِّ، وهو مَع ذَلِكَ نَادِرٌ، لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ، وحَذْفُهُ يَجْرِي مَجْرَى حَذْفِ حَرْفٍ مِنْ نَفْسِ الاسْمِ؛ فَلِذلِكَ ضَعُفَ، وَلَمْ يَجُزْ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ النَّادِرِ الَّذي لا يُقَاسُ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِم:(لَاهِ أَبُوكَ)، فهذا قَدْ حُذِفَ مِنْهُ لامُ الجَر ولامُ المَعْرِفَةِ؛ لِكَثْرَتِهِ في الكَلامِ، وَأَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ فِيمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِمَّا يَكْثُرُ فِي الكَلامِ.

وجَوَّزَ الخَلِيلُ في قَوْلِهِم:(لَقِيتُهُ أَمْس) أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُهُ: لَقِيتُهُ بالأَمْسِ، ولكنَّهُ حُذِفَ. وضَعَفَ ذَلِكَ سِيبَوَيْهِ بِقَوْلِهِم:(ذَهَبَ أَمْسِ بِمَا فِيهِ)، وقَدْ حُكِيَ عَن الخَلِيلِ أَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الكَسْرِ، وهذا هو الصَّوَابُ؛ لأَنَّ حَذْفَ حَرْفِ الجَرِّ يَضْعُفُ عَلَى مَا بَيَّنَا مَع قَوْلِهِم: (ذَهَبَ أَمْسِ بِمَا فِيهِ). وقَالَ العَنْبَرِيُّ:

وجَدَاءَ مَا يُرْجَى بِها ذُو قَرَابَةٍ لِعَطْفٍ وَمَا يَخْشَى السَّمَاةَ رَبِيبُها

فَحَذَفَ (رُبَّ)، وجَعَلَ الوَاوَ عِوَضًا مِنْهَا.

و(كَمْ) إِذا فُصِلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الاسْمِ بِحَشْوٍ حُمِلَتْ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يُقَدِّرها مُنَوَّنَةً؛ لئلا يُفْصَلَ بَيْنَ الجَارُ والمَجْرُورِ، لان المجرور داخل في الجار كأنهما كلمة واحدة، والاسم المنون يفصل بينه وبين الذي يعمل فيه تقول: هذا ضاربٌبك زيداً، ولا تقول: هذا ضاربٌ بك زيدٍ.

وقَالَ زُهَيْر: في الفصل بين كم وتمييزها (محدوبا)

تَؤُمُ سِنَانًا وَكَمْ دُونَهُ مِن الْأَرْضِ مُحْدَوْدِبًا غَارُها

وقَالَ القُطَامِيُّ:

كَمْ نَالَنِي مِنْهُمْ فَضْلًا عَلَى عَدَمٍ إِذْ لَا أَكَادُ مِنَ الإِقْتَارِ أَحْتَمِلُ

وَيَجُوزُ فِيهِ الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلُ(نَالَنِي). ولا يَجُوزُ فِيهِ الجَرُّ للفَصْلِ بِمَا لَيْسَ بِظَرْفٍ. ومَوْضِع(كَمْ) إذا رُفِعَ (فَضْلٌ) نَصْبٌ، كَأَنَّكَ قُلْتَ : كَمْ مَرَّةً نَالَنِي مِنْهُمْ فَضْلٌ ؟ ومَوْضِعُها عَلَى الوَجْهِ الآخَرِ رَفْعٌ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: أَعِشْرُونَ فَضْلًا نَالَنِي مِنْهُم ؟

وقد يجوز في الشعر أن تجر وبينها وبين الأسم حاجز فتقول: كم فيها رجلٍ، كما قَالَ الأَعْشَى:

إلا عُلالَةَ أَوْ بُدَا هَةَ قَارِحٍ نَهْدِ الجُزَارَهْ

فهذا عِنْدَ سِيبَوَيْهِ عَلَى الفَصْلِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِلَّا عُلالَةَ قَارِحٍ أَوْ بُدَاهَةَ. وحَمَلَهُ أَبُو العَبَّاسِ عَلَى الحَذْفِ، وكِلاهُمَا جَائِزٌ.

وقَالَ الشَّاعِرُ:

كَمْ بِجُودٍ مُقْرِفٍ نَالَ العُلَى وَكَرِيمٍ بُخْلُهُ قَدْ وَضَعَهْ

فهذا عَلَى جَرِّ المُفَسِّرِ مَعَ الفَصْلِ بِالظَّرْفِ، وَيَجُوزُ فِيهِ الرَّفْعُ وَالنَّصْبُ.

وتَقُولُ: (كَمْ أَتَانِي، لا رَجُلٌ ولا رَجُلان) بِالرَّفْعِ، فهذا محمول على ما حُمل عليه كم لا على ما تعمل فيه كم؛ لأَنَّهُ لَا يُفَسَّرُ العَدَدُ بِالنَّفْيِ، لا يَجُوزُ: (عِشْرُونَ لَا دِرْهَمًا)؛ لأَنَّ العَدَدَ يَقْتَضِي مُبَيِّنًا لَهُ بِالجِنْسِ، والنَّفْيُ لَيْسَ كَذلِكَ، فَلا يَجُوزُ أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ النَّفْيُ عَلَى التَّفْسِيرِ.

وتَقُولُ: (كَمْ عَبْدٍ لَكَ، لا عَبْدٌ ولا عَبْدَانِ)، فَتَرْفَعُ عَلَى مَوْضِعِ (كَمْ)، ولا يَجُوزُ الجَرُّ عَلَى مَا عَمِلَتْ فِيهِ (كَمْ)؛ لأَنَّهُ عَلَى التَّكْثِيرِ، و(كَمْ) هي التي أَوْجَبَت التَّكْثِير، فهو مَحْمُولٌ عَلَيْهَا، كَمَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا فِي الاسْتِفْهَامِ، إذا قَالَ القَائِل: (كَمْ عَبْدًا لَكَ؟) ، فَيَقُولُ المُجِيبُ: (عَبْدَانِ أَوْ ثَلَاثَةُ أَعْبُدٍ) بِالرَّفْعِ، وكَذَلِكَ تَقُولُ: (عَبْدٌ)، ولا يَجُوزُ بِالنَّصْبِ عَلَى المُفَسِّرِ؛ لِمَا بَيَّنَا؛ ولأَنَّهُ يَصِيرُ المَسْؤُولُ سَائِلًا؛ إِذْ يُقَدِّرُ العَامِلَ في كَلامِهِ، وهو (كَمْ)، فَلا يَصْلُحُ مِثْلُ هذا بِالحَمْلِ عَلَى مَا عَمِلَتْ فِيهِ: (كَمْ).

وَتَقُولُ: (كَمْ لا رَجُلٌ عِنْدَكَ ولا رَجُلانِ)، ولا يَجُوزُ بِالنَّصْبِ فِي الاسْتِفْهَامِ، ولا الخَبَرِ عَلَى إِعْمَالِ (كَمْ)؛ لِمَا بَيَّنَا مِنْ أَنَّهُ لَا يُفَسَّرُ العَدَدُ بِالنَّفْيِ؛ لأَنَّهُ يَقْتَضِي جِنْسًا يُمَيِّزُهُ مِنْ غَيْرِهِ، والنَّفْيُ لَيْسَ بِجِنسٍ يُمَيِّزُهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَلَوْ قُلْتَ: (لَكَ عِشْرُونَ لا عَبْدًا ولا عَبْدَيْنِ) لَمْ يَجُزْ، وَتَفْسِيرُ العَدَدِ عَلَى السائل في الأَصْلِ لِيَقَعَ جَوَابُ المَسْؤُولِ عَلَى حَدِّ مَا سَأَلَ عَنْهُ السَّائِلِ.

و(كَمْ) لا تَعْمَلُ مُضْمَرَةً؛ لِضَعْفِها عَنْ مَنْزِلَةِ الفِعْلِ الَّذِي يَعْمَلُ مُضْمَرًا.

وَتَقُولُ : (كَمْ غُلَامًا لَكَ ذَاهِبٌ؟) عَلَى أَنَّ (لَكَ) صِفَةٌ (غُلامٍ)، و(ذَاهِبٌ) خَبَرُ (كَمْ). ويَجُوزُ: (كَمْ غُلَامًا لَكَ ذَاهِبًا؟) عَلَى صِفَةِ (غُلَامٍ) بِـ (ذَاهِبٍ)، وَيَجُوزُ عَلَى الحَالِ مِمَّا فِي (لَكَ) .

وَتَقُولُ: (كَمْ مَأْخُوذُ بِكَ) عَلَى حَذْفِ المُفَسِّرِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: (كَمْ مَرَّةً مَأْخُوذُ بِكَ). وتَقُولُ: (كَمْ رَجُلٍ لَكَ) عَلَى الخَبَرِ.